فاعلية الحدث في أمثلة من شعر لبيد وذي الرّمة

الكلمات المفتاحية: فاعلية، الحدث،عند لبيد ، ذي الرمة

البحث مستل من اطروحة دكتوراه

نهى خليل ابراهيم **ا٠د ٠نوافل يونس سالم**

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية

kalelnuha@gmail.com **Dr.nyph@gmail.com**

الملخص

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن فاعلية الحدث عند شاعرين عملاقين من شعراء العربية ، انمازا بقدرتهما الخلاقة لما يمتلكان من سعة أُفق وقدرة تخيلية ،والشاعران هما لبيد بن ربيعة العامري(ت ٤١هـ)وهو شاعر مخضرم ،والآخر ذو الرمة وهو شاعر أموي عاش بين (٧٧ــ١٧٧ هـ) وهذه الفترة تمتد من أواسط عبد الملك بن مروان (٦٥ـــ ٨٦هـ) إلى أواخر عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ـ ١٢٥هـ).

يحقق الحدث صراعاً في شعر الشاعرين هو صراع الحياة و الموت والصراع مع الحيوان، و هو ما يعكس جدلية الذات و الصحراء بوصفها و حدة عضوية لا يمكن فكّ عناصرها، فالصحراء هي مركز الحدث ، و هي مسؤولة عن مخاوف الذات؛ لذا ارتسم الحدث في صحراء ممتلئة بالخوف و القلق ممزوجا بالاضطراب والاغتراب و الوحشة، وفي ضوء ذلك كانت قراءتنا بوساطة النظر لأسرار النصّ والبحث في خباياه وما يحمله من أبعاد.

المقدمة

تنفرد هذه الدراسة في محاولة الكشف عن التشابه والاختلاف في الحدث بين شعر لبيد وذي الرمة ؛إذ يقوم النصّ على جوهر أساس متمثلاً في إظهار الصراع الدائر بين الإنسان والطبيعة والحيوان والطبيعة عبر صور إيحائية أسهمت في بيان إمكانيتهما التعبيرية عبر استيعاب الظواهر النفسية ،فغالبا ما جاء الحدث مكثفاً عميقاً مع إعطاء مساحة مناسبة تسهم في قراءة الحدث ،فضلاً عن كونه غنياً بالحركة ،مما جعله ساطعاً في لمسات واضحة وموحية متجهة بالحدث نحو

الانفعال ،فيضع أمام المتلقي لوحة متكاملة تومئ إلى عوالم باطنية مصوّراً التوتر والجانب الدرامي.

لقد كان ذو الرمة أكثر الشعراء تأثراً بلبيد، وكانت الشرارة التي انطلقتُ منها في عقد الموازنة هي أن القرشي ذكر قول ذي الرمة أن لبيداً أشعر الناس، وهو ما حفزني إلى الانطلاق بعقد الموازنة ولاسيّما أن الشاعرين اقتربا في صور واختلفا في أخرى .

اعتمد البحث منهجاً تحليلياً موازناً سعى إلى الوقوف على صور التشابه والاختلاف القائمة في شعريهما، ومنهج الموازنة يسعى إلى الجمع بين نصّين أدبيين يوازن بينهما، عبر رصد نقاط التشابه والاختلاف بين الشاعرين .

ويُختم البحث بخاتمة اشتملت على أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد الطاهر الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

الحدث: مدخل تعريفي .

إنّ الحدث وسيلة من وسائل بناء السرد داخل القصيدة فضلاً عن كونه أحد عناصرها، فبوساطته يستحوذ الشاعر على اهتمام القارئ أو السامع من خلال تصاعد الأحداث داخل النصّ.

ويحيل على أنه سلسلة من الوقائع المتصلة تنماز بالوحدة والدلالة، وتتلاحق من بداية ووسط إلى النهاية[١]، أو أنه مجموعة من الوقائع الجزئية المرتبطة والمنتظمة على نحو خاصّ[٢]، ومن هذين التعريفين نلتمس الأحداث في ديوان الشاعرين ابتداءً من تشبيه الناقة بالثور ثم الحمار الوحشي أو تشبيهها بالبقرة الوحشية، انتهاء بهربهما من الصياد، فتحول الطبيعة دفعت الحيوان للبحث عن مصادر الكلأ والماء إذ يبتدئ من تلك اللحظة الحدث.

مشهد صراع الثور الوحشي عند لبيد:

يمنحنا لبيد فرصة الولوج إلى الأحداث مصوراً الصراع بين الحياة والموت، موزعاً قصيدته على مشهدين، تمثل المشهد الأول في تشبيه الناقة بالثور الوحشي قائلاً:

كـــأَخْنَسَ نَاشـــطٍ جـــادَت عليـــه ببُرقَـــةِ وَاحـــفٍ إحـــدى الليـــالي
أضـــــلَّ صِـــــوارَهُ وَتَضَـــــيَّفَتْهُ نَطُـــوفٌ أَمرهـــا بِيَـــدِ الشَّـــمالِ
فبـــاتَ كأنـــه قـــاضٍ نُـــذُور يَلُـــوذُ بغَرقَـــدِ خضِـــل وضَـــالِ
إذا وَكَـــفَ الغُصـــونُ علـــى قَـــرَاهُ أَدار الـــرُّوْقَ حـــالاً بَعْـــدَ حـــالِ
جُنَـــوحَ الهـــالكيّ علـــى يَدَيْـــهِ مُكِبّـــاً يجْتَلـــى نُقَـــب النِّصَـــالِ
فَبـــاكَرَهُ مـــع الإشـــراقِ غُضْـــفٌ ضـــوارِيها تَخُـــبُّ مـــع الرِّجَـــالِ
فجـــالَ ولـــمْ يَجُـــلْ جبنـــاً ولكـــن تَعَـــرُّضَ ذي الحفيظـــة للقتـــالِ
فغـــادَر مُلحَمـــاً وَعَـــدَلْنَ عنـــه وقـــد خَضَـــبَ الفـــرائِصَ مـــن طِحـــالِ
يَشُـــكُّ صِـــفَاحَهَا بـــالرَّوقِ شَـــزْراً كمـــا خَـــرَجَ السِّـــرادُ مـــن النِّقَـــالِ
وَوَلَّـــى تَحْسُـــرُ الغَمَـــرَاتُ عنـــه كمـــا مـــرَّ المُـــرَاهن ذو الجـــلاَلِ
وولَّـــى عامـــداً لطيـــات فَلْـــجٍ يُـــرَاوِحُ بـــين صَـــوْنٍ وابْتَـــذَالِ
تَشُـــقُ خمائـــلَ الـــدَّهْنِا يَـــداهُ كمـــا لعـــبَ المُقَـــامِرُ بالفِيـــالِ
وأَصْـــبَحَ يَقْتَـــرِى الحَوْمَـــانَ فَـــرْداً كنصـــل الســـيف حُـــودِث بالصِّـــقَالِ[٣]

إنّ المشـهد الشـعري المتمثـل بمحاولـة صـيد الثـور الوحشـي مـن أشـدّ المشـاهد ضـراوة، لاسـيّما حـين يتواشـج صـراع الثـور مـع الصـياد والكـلاب، فيصـنع تراجيـديا مفعمـة بالحركـة والأحـداث الحيويـة، فيضـفي بعـداً دراميـا يـوحي بالتيـه والخـوف والضـياع، مسـتفيداً مـن الطبيعـة، فالحـدث يجـري لـيلاً ((والليـل هـو المعـادل الرمـزي للعـالم المرتحـل إليـه حيـث تنطـوي الأنـا علـى نفسـها))[٤]، فالليـل ينطـوي علـى معـاني الإنسـحاب إلـى الـذات هربًـا مـن الواقـع المخيـف، حيـث يتحـول الظـلام إلـى علامـة للإبـداع حينمـا تقتـرن بغايـات نفسـية تشـير إلـى دلالات الاغتـراب عـن الآخـرين والعزلـة عـنهم، فينشـأ الشـاعر علاقـة مـا بـين الظـلام والثـور والمطـر حـين يتسـرب الخـوف إلـى نفس الثور فيعكس وحدته وخوفه وقلقه من الوجود، لاسيّما بعد أن أضل قطيعه.

مـع تسـاقط المطـر تتصـاعد الأحـداث حـين تشـردّ الـروح فـلا يبقـى سـوى الإحسـاس بـالخوف فـي سـكون الليـل، فيتسـرب الخـوف مـن المـوت إلـى نفـس الثـور شـيئاً فشـيئاً فيغـدو مضـطرباً متوجّسـاً ممـا حولـه، فيتجسـد ذلـك الخـوف فـي صـورة حركيـة تنبـئ بالقلق من الوجود فأخذ يتحرك يميناً وشمالاً كأنه يصلي.

ومع إشراق النهار أنبأ الحدث بنهايته، ولكنها نهاية يتخللها الخوف والعزلة، فالثور ما إن خرج من ظلام الليل إلى النهار حتى يغرق في ظلام آخر متمثلاً بالكلاب والصياد وكأن الموت والفناء يستعجله، حين هاجمه كلٌّ من الصياد وكلابه، لقد لعب عنصرا الليل والنهار دوراً في تكثيف الحدث فالثور من ((الحيوانات التي لا تتمتع برؤية ليلّية جيدة، وقد يواجه حيوانات ذوات رؤية ليلية عالية كالأسود ؛ ولذلك تعدّ الشمس عنصراً مُعيناً للثور في مواجهة شراسة الكلاب التي هجمت مع بزوغ الفجر، والمفارقة حين يعود الليل لِيَكون من القوى المُناصرة للثور، فقد حَرِص على تجاوز الصائد الذي يمثل التهديد الذي يخشاه هذا الثور))[٥]، فالنهار مع دلالته على الإشراق إلا إنه كان نذير شؤم للثور فهاجمه الصياد وكلابه غير أنه نجح في مواجهة هذه الأزمة فيفرّ من الصياد ويصارع الكلاب، وهذا يدلّ على صراع الحياة والموت وطلب الخلود في هذه الرحلة المتعبة فضلاً عن الأمل وحبّ الحياة الذي زرعه الشاعر في هذا الحدث، فصورة الثور وهو يصارع من أجل الحياة إنما يعكس صراعًا فردياً.

والعناصر الدرامية التي انطوت عليها القصيدة صاغت بطبيعتها الصراع بين الحياة والموت وهو صراع صنعت مهاده وأسهمت في تجسيد أبعاده التشبيهات المتفاعلة مع لغة الشاعر[٦]، فالحدث الأساس الذي ينتظم المقطع هو تشبيه الناقة بثور سريع الحركة يمضي من مكان لآخر مما يمنحه القوة والنشاط؛ ليهرب من الصياد والكلاب.

يوظف الشاعر بنية التشبيه على هيأة رجل يصلي عندما شبه الثور به، وجاء اختياره لهذا التشبيه (كأنه قاضي نذور) إمعانا في وصفه لما اعتراه من إحساس بالوحدة، ولاسيّما أن الوحدة مع الظلمة تجسد بؤرة دلالية محسوسة تعمق الإحساس الذاتي بالأزمة التي يعيشها ووصفه (بقاضي نذور) يشي بالإنفراج القادم، فضلاً عن أن الرجل المصلي يوحي بالقدسية والمقدس هو رمز للحياة المقبلة المباركة.

وفي صورة ثانية يجسّد الحدث بحركة الثور فشبهه بحركة صقل السيف وهي صورة بصرية تعبر عن سرعة الثور وانطلاقه فهو مثل البرق في لمعانه ليعكس

رؤيـة داخليـة يؤكـد مـن خلالهـا علـى شـباب الثـور، وهـو بهـذا يعكـس روحـه مجسـداً التجربة الشعورية .

وللتشبيه أثـر فـي الحـدث معبـراً عـن معانـاة الثـور مـع الكـلاب مشـبهاً غـرزه قرونـه فـي جوانبهـا بالسـير الـذي يخصـف وسـط الحيـوان وهـذا صـادر عـن قـوة الثـور وشراسـته فضـلاً عـن معاناتـه وخوفـه مـن المـوت، فجعـل الصـورة نابعـة مـن رغبتـه فـي الحيـاة، ويخـتم الشـاعر حـدث قصـة الثـور مشـبهاً تنقلـه مـن موضـع إلـى أمـاكن أُخـرى بنصـل السـيف فـي بياضـه ولمعانـه فـدلّت هـذه الصـورة علـى عمـق التجربـة التـي خاضـها الثـور وعمـق الخـوف والعـذاب الـذي أحـاط بـه، فخـرج منتصـراً ينتقـل مـن مكـان لآخـر لامعـاً براقـاً فـي إشـارة إلـى امكانياتـه الجسـدية التـي لـم تتـأثر بـالظروف التـي مـرّ بهـا، وختـام هـذا الحـدث يشـير إلـى الرغبـة فـي الحيـاة والصـراع مـن أجلهـا فصـورها الشـاعر فـي قصة تحوي الكثير من الرموز.

مشهد صراع الحمار الوحشي عند لبيد:

وفي المشهد الثاني للحدث يشبه لبيد ناقته بالحمار قائلاً:

أَذلـــكَ أَمْ عراقُـــى شَـــتيمٌ أَرَنَّ علـــى نَحـــائِصَ كالمَقـــالي
نَفَـــي جِحْشَـــانَها بِجِمَـــادِ قـــوٍّ خلـــيطُ مـــا يـــلامُ علـــى الزّيـــالِ
شـــهوَر الصَّـــيْفِ وَاعتَـــذَرَتْ عليـــه نِطَـــافُ الشَّـــيّطَيْنِ مـــن السِّـــمال
وذكَّرَهَـــا مناهـــلَ آجنـــاتٍ بحاجـــةَ لا تنَـــزَّحُ بالـــدَّوَالي
وَأَقْبَلَهَـــا النِّجَـــادَ وَشَـــيَّعَتْهَا هـــواد بهـــا كأَنصـــبَةِ المُغَـــالي
لِـــوِرْدٍ تقْلِـــصُ الغيطَـــانُ عنـــه يـــبَـذُّ مـفـازةَ الـخِـمْسِ الـكـمَـالِ

.....

كـــأَنَّ ســـحيلَهُ شَـــكوى رئـــيسٍ يُحَـــاذِرُ مِـــنْ سَـــرَايا واغتيـــال
تَبَكّـــىَ شـــاربٍ أَسْـــرَتْ عليـــه عتيـــق البابلّيـــة فـــي القِـــلَال
تَـــذَكَّرَ شَـــجْوَهُ وَتَقَاذَفَتْـــهُ مُشَعْشَـــعةٌ بِمغْـــرُوضٍ زُلَال
إذا اجتمعـــتْ وأَحْـــوَذَ جَانِبَيهـــا وأَوْرَدَهَـــا علـــى عُـــوجٍ طِـــوال

رَفَعْــنَ سُــرَادقاً فــي يــوم ريــحٍ يُصَــــفِّقُ بـــين مَيْـــل واعتِـــدَال
فَأَوْرَدَهَـــا العِـــراكَ ولـــم يَـــذُدْهُاً ولـــم يُشْـــفِقُ علـــى نَغَـــص الـــدِّخَال
يُفَـــرِّجُ بالســـنابك عـــن شَـــرِيبٍ يَـــرُوعُ قلـــوبَ أجـــواف غـــلاَل(٧)

قبل الخوض في مجريات الحدث لا بدّ من الإشارة إلى أن الشاعر يقيم مزاوجة بين قصته في الحياة وقصة الحمار، فيجسد الحدث وما فيه من متاعب ومخاطر، فيشعر بالحدث ويندمج معه ويرصد تفاصيله.

يستهل الحدث بصراخ الحمار مازجاً بين حاستي السمع والبصر، موظّفاً الفعل (أرن) الذي أسهم في جعل الصورة ثرية بالمعاني التي تشحذ الذهن، فتجعله يبحث عن الدلالة الإيحائية لصياح الحمار على الأتان الذي يحيل على محاولته الهيمنة على قطيع الأتن مازجاً هذه الصورة بصورة بصرية تمثلت بشكل الحمار القبيح الوجه فيُخيف الأتان بشكله وصوته فتستجيب مخافةً منه، وهذه تحيلنا على خبايا الصورة لتدلّ على قوة الحمار وصلابته بمطاردة الأتان والظفر بها وطردها إلى الأماكن المرتفعة ليختلي بها مما يشير إلى سرعته لاسيّما مع استعمال الأفعال (نفي، امكنها) فقد ((تقترن حركة الأفعال بالمكان الذي ينفتح في مساحته الجغرافية ليدلّ على سعة الحركة الكبيرة وسرعة الزمن المنجز الذي استطاع أن يحقق هذا التخطي الواسع لأماكن الصحراء فتصبح الأماكن شاهدة على فعل الزمن))(٨)، ويحدد الإطار الزمني الذي وقع فيه الحدث بالصيف بلفظة (شهور الصيف) مما يمنح الزمن حضوره وقوته فضلاً عن إشارته إلى طول المدة التي قضاها الحمار مع الأتان حتى حملت فتمنعت عنه، وهنا يجسد الشاعر المظاهر الإنسانية في خوف الأتان على حملها فضلاً عن الشكّ والغيرة في نفس الحمار الذي يساوره تمنعها.

ويسعى الشاعر إلى تأكيد نظرية الهيمنة في صورة سمعية مشبهاً صوت الحمار بشكوى الرئيس في سطوته وهيمنته على أبناء قومه.

وتنمو بنية الحدث على امتداد القصيدة فيزداد الصراع الدرامي في صورة حركية متمثلة بملاحقة الحمار لأتانه من كلّ جانب حتى تفرّ منه، مجسداً تلك الحركة بالغبار المتطاير من هربها رامزاً به لخوفها ولتشظي مشاعرهُ، كما يتضح من هذه الصورة البعد النفسي إذ تفصح الشخصيات عن رغبتها، فيظهر خوف الحمار وحرصه على الأتن من سهام الصياد، فيعمل على دفعها من ورد الماء خوفاً عليها، وتظهر رغبتها في ورد الماء وهي تعاني

قساوة العطش وشدّته فنغص الصياد عليها شرب الماء، وفي دفع الحمار لها إشارة إلى تصرف حكيم وذكي في تجنبهما الصياد حفاظاً على حياتهما، فهذا الحدث إنما يصور تفاقم الصراع حتى بلغ ذروته لحظة ورود الماء والخوف من الصياد، فيصور الصراع من أجل الحياة ما بين الموت المتمثل بالصياد وما بين الحياة المتمثلة بالماء.

مشهد صراع الحمار عند ذي الرمّة:

يتمحور الحدث في قصائد ذي الرمة حول الناقة التي وظفها للولوج إلى عالم النصّ عبر خطاب سردي بصورة مكتملة الأجزاء والعناصر، إذ يشبهها بالحمار الوحشي تارة وتارة أُخرى بالثور الوحشي مثلما فعل لبيد، فاحتوت القصيدة على مشهدين وأولها هو مشهد الحمار، إذ يقول:

وَثْبَ المُسَحَّج من عانات مَعْقُلَةٍ كأَنّهُ مُسْتَبانُ الشَّكِّ أو جَنِبُ
يحْدو نَحائصَ أشْباها مُحَمْلَجةً وُرْقَ السَّرابيل في أَلوانِها خَطَبُ
له عليهنَّ بالخَلصاء مَرْتَعَةٌ فالفَوْدَجاتِ فَجَنَبَيْ وحِفٍ صَخَبُ
حتى إذا مَعْمَعانُ الصيف هَبَّ له بِأَجَّةٍ نَشَّ عنها الماءُ والرَّطُبُ
وصَوَّحَ البَقْلْ نَآجٌ تَجيءُ بهِ هَيْفٌ يَمانيةٌ في مَرّها نَكَبُ
وأدركَ المُتَبَقّى من ثَميلتِه ومن ثَمائِلها وأستُنْشِئَ الغَرَبُ
تَنصّبَتْ حَوْله يوماً تُراقُبهُ صُحْرٌ سَماحيجُ في أَحشائِها[٩]

إنَّ مجريات الحدث تبدأ من هجرة الحمار والأتان بحثاً عن الماء والكلأ لاسيّما بعد أن جدبت الأرض وجدب معها الحمار واصفاً هذا الجدب بالتصاق جنبيه من العطش، وتلك إشارة إلى جدب الأرض وعطشها على الرغم من أن الشاعر لم يصرح بذلك إلا إنه يمكن الاستدلال بذلك من سياق الكلام، فيضع بين أيدينا مجموعة من المفردات (يحدو، صخب) تساعدنا على فهم النصّ لما تحمله من دلالة مشحونة متوترة ترمز إلى هيمنة الحمار على الأتان، فالسوق والصراخ يشيران إلى درجة حرارة الصيف المرتفعة والريح اللاهبة التي أخذت تعصف بالحمار والأتان حتى كادت أن تنهي ما بقي في جوفهم من المياه، والمشهد هنا أخذ مديات أكثر، إذ قدمه في ضوء معامل الطبيعة وتأثيرها في الظاهر الجسدي.

ويحقق الزمان أثراً كبيراً في مشهد الحمار.

حتى إذا أصفَّر قَرْنُ الشَّمس أو كربت أَمسى وقد جَدَّ في حَوْبائِهِ القَرَبُ
فَراحَ مُنصَلِتاً يَحْدوُ حَلائَلَهُ أدنى تقاذُفِهِ التَّقْريبُ والخَبَبُ
....
والهَمُّ عَينُ أُثالٍ ما يُنازِعُهُ من نفسِهِ لِسِواها مَوْرِداً أَرَبُ
فَغَلَّسَتْ وعَمودُ الصُّبح مُنْصَدِعٌ عنها وسائِرُهُ باللَّيل مُحْتَجِبُ
عَيناً مُطَحْلَبَةً الأرْجاءِ طَامِيَةً فيها الضّفادِعُ والحيتانُ تَصْطَخِبُ[١٠]

ففي ظل تسارع الزمن (أصفر قرن الشمس) وجد الحمار في الغروب خير بشرى له للورد فهو لا يردّ الماء في النهار احترازاً وخوفاً من الصياد، فيصور بوساطة هذا الحدث الصراع ما بين الموت المتمثل بما يخبئه القدر، والحياة المتمثلة بورود الماء، فنعيش الحدث بجانبه الإنساني لا الجانب الحيواني، فَهمّ الحمار وقلقه وطرده للأتن يجسد صورة الشاعر وهو يسعى للظفر (بميّ)، فالشاعر يلجأ إلى معيار التقمّص الوجداني الذي ظل ملازما إياه لفعل القراءة الذي لا يصل إلى كماله إلا بتقمص الحالة الوجدانية التي تجسّد بها تعبير المبدع عن ما في داخله[١١]، ويستمر صراع الحياة والموت حين يصل الحمار إلى عين الماء يملؤها عناصر الموت من الحيتان والضفادع والطحالب كلّها تحيل على اليأس، مناقضة للصورة التي كان ينتظرها الحمار من خير وماء وكلأ، مما يوحي بالمتاعب والمصاعب التي ستواجهها.

ويتصاعد الحدث أكثر حين يصل إلى ذروته، فيلعب الصياد دوراً رئيساً فيه:

وبالشَّمائل من جِلاّنَ مقتنص رَذْلُ الثِّياب خَفيُّ الشَّخص مُنْزَربُ
مُعِدُّ زُرْقٍ هَدَتْ قَضْباً مُصَدَّرَةً مُلْسَ المُتونِ حَداها الرّبَشُ والعَقَبُ
كانت إذا ودقت أمْثالُهُنَّ له فبعضُهنَّ عن الأُلاّفِ مُشتعَبُ
حتى إذا الوَحشُ في أَهضام موردها تغيَّبَتْ رابها من خِيفَةٍ رِيَبُ
فَعَرَّضَتْ طَلَقاً أعناقَها فَرَقاً ثمَّ آطباها خَريرُ الماء ينْسكبُ
فأَقبلَ الحُقْبُ والأَكبادُ ناشِزَةٌ فوقَ الشَّراسيفِ من أَحشائِها تجِبُ
حتى إذا زلجت عن كلِّ حَنْجَرَةٍ إلى الغَليلِ ولم يَقْصَعنَهُ نُغَبُ

رمـــى فأَخطـــأَ والأقـــدارُ غالبـــةُ فأنْصَـــعْنَ والوَيـــل هِجِّيـــراهُ والحَـــرَبُ
يَقَعْـنَ بالسَّـفْح مِمّـا قـدَ رأَيـنَ بـه وَقْعـاً يَكـادُ حصـى المعْـزاءِ يَلْتَهـبُ
كـــأَنَّهن خَـــوافي أَجـــدَلٍ قَـــرمٍ وَلّـــى لِيَســـبقَهُ بـــالأَمْعَزِ الخَـــرَبُ[١٢]

يستهل الشاعر هذا البيت (بالشمائل) التي تمثل رمز التشاؤم والموت، وهو الموضع الذي ارتكز الصياد فيه من الجانب الأيسر مهيئاً للأتن سهاماً زرقاء تحمل في طياتها الموت.

ويمضي الحدث في تعميق جو الترقب أكثر في تصارع الحياة والموت متمثلاً في تخير الأتن في هربها والنجاة بنفسها خوفاً من أن تقع فريسة سهام الصياد وبين أن ترتوي لتسدّ عطشها الذي طال؛ ولحبّها للحياة ولاستمراريتها اغترفت غرفة صغيرة من الماء مستغلاً الصياد هذه اللحظة؛ ليرمي سهامه نحوها إلا إنّ الحظ كان حليفها فأخطأتها السهام، إن هذا الحدث يشير إلى ضرورة التمسك بالحياة وأن أحاطت به المخاطر فلا بدّ من تجاوزها.

إنّ الأفعال المتراكبة والمتداخلة إنما توحي دلالياً بالحركة السريعة (رمى، أخطأ، انصعن، يقعن، رأين، يكاد، يلتهب، ولى، يسبق) الذي يتزامن مع مجريات الحدث فضلاً عن أنها ولدت في القصيدة إيقاعا قائماً على الحركة والتدفق.

ويتجلى دور الصورة واضحاً في بيان حال الأتن وحبّها للحياة حتى صور اشتعال الحصى من سرعتها، وهذه الحركة السريعة تنم عن تشبثها بالحياة وحرصها عليها فهي على الرغم مما تعانيه من تعب وعطش غير إنها استجمعت قواها؛ لتهرب بنفسها، ويستمر الشاعر في وصف حال الأتن مشبهاً إياها مرة أخرى بالصقر؛ ليدلّ على سرعتها وخوفها من أن يصيبها سهم من سهام الصياد، وفي إضفاء هذه الصفات على الأتن إنما أراد به أن يرمز لقوتها وإلى الرغبة المتأصلة في أعماق الجميع متمثلة في حبّ الحياة.

مشهد صراع الثور الوحشي عند ذي الرّمّة :

وينتقل ذو الرمة إلى المشهد الثاني مشبهاً ناقته بالثور قائلاً:

أَذاكَ أم نَمِـــشٌ بالوَشْـــم أَكْرُعُـــهُ مْسَـــقَّعُ الخَـــدِّ غـــادٍ ناشِـــطٌ شَـــببْ
.....
ضَـمَّ الظَّـلامُ علـى الوَحْشِـيّ شَـمْلَتَهُ ورائـحٌ مـن نَشـاص الـدَّلْو مُنْسِـكِبُ

فبـاتَ ضَـيفاً إلـى أَرْطـاةِ مُـرْتَكِمٍ مـن الكثيـبِ لهـا دِفـءٌ ومُحتَجَـب
مَـيلاءَ مِـن مَعْدِنِ الصّيران قاصِيَةٍ أبعـارُهُن علـى أَهـدافِها كُثَـبُ
.....
إذا اسْـتهلَّتْ عليـه غَبْيَـةٌ أَرجَـتْ مَـرابيضُ العِـين حتـى يَـأْرَجَ الخَشَـبُ
تَجْلـو البَـوارقُ عـن مُجْرَمِّـزِ لَهَـقٍ كأَنَّـه مُتَقَبـيّ يَلْمَـق عَـزَبُ
إذا أَراد انكِناسـاً فيـه عَـنَّ لَـهُ دُون الأَرومـة مـن أطنابِهـا طُنُـبُ[١٣]

يسـتهل الشـاعر مقطعـه مسـتفهماً عـن الشـبه بـين الحمـار وناقتـه والثـور وناقتـه؛ ولعـل هـذا الاسـتفهام يـوحي بالموازنـة بـين صـفات الثـور والحمـار، فيـذكر صـفات الثـور النشـيط الـذي لا يعـرف الثبـات دائـم الترحـال طالبـاً مرتعـاً جديـداً، واصـفاً إيـاه بالبيـاض، والبيـاض يقـوم بشـكل أسـاس علـى العنصـر التشـكيلي للمكـان مُصـوّراً لمعانـه فـي الفضـاء ممـا يـوفر إيحـاءً ودلالـة للقـارئ، فتتركـب فـي ضـوء ذلـك علاقـة الخطـوط والألـوان التـي تحـرك وجـداننا وانفعالنـا الجمـالي، وهـو نـابع مـن مضـمونه المسـتمد مـن المعـاني والأفكار [١٤].

ويسـهم الظـلام والمطـر والريـاح فـي إنتـاج الحـدث، مصـوراً مـن خلالهـا قسـاوة الوضـع، حـاملاً فـي طياتهـا مخبئـات القـدر، إذ تنـذر بمـا سـتؤول إليـه الأحداث من مصاعب في باقي المشهد.

فـالمطر يلازمـه ويغسـله ويطهـره، منزويـاً فـي بقعـة مـن الأرض تحـيط بـه الأرطـأة فتحمـل ثقـلاً وجـدانياً ونفسـياً، إذ تعـدّ مـن الموروثـات القديمـة التـي مازالـت متجـذرة فـي العقـل العربـي ومـا زالـت مختبئـة فـي أعمـاق الشـاعر فيهـا الكثير من القلق والأرق والاضطراب والعذاب خوفاً مما يحيط به.

إنّ معالجـة الإطـار المكـاني يحقـق سـكوناً وهـدوءً علـى الـرغم ممـا سـتحمله الأحـداث القادمـة، فـأوحى بالأمـان والسـكينة لاسـيّما مـع ذكـره لنبـات الأرطـى يسـتتر بـه مـن البـرد والمطـر والريـاح ؛ وليعطـي المكـان أمنـاً ويمنحـه روحيـة يرسـم صـورة شـمّية فـي تسـاقط المطـر علـى هـذا النبـات ففاحـت منـه رائحـة زكيـة وهـو بهـذا يسـعى للتخفيـف مـن صـورة المـوت التـي تنـذر بهـا هـذه الليلـة العاصـفة فتشـكل مصـدر خـوف للثـور لاسـيّما مـع صـورة البـرق التـي تمثـل مصـدر رعـب وأمـن فـي الآن نفسـه، فمـع لمعـان البـرق تظهـر صـورة الثـور

للصـــياد والكـــلاب، لكنـــه يعطـــي احساســـاً بالأمـــان فـــي أن ضـــياء البـــرق خفـــف عليه ظلمة الليل وكناسه الذي يكتنفه السواد.

إنّ تـأثير الطبيعـة بـدا واضـحاً فـي الحـدث كمـا ظهـر تـأثيره فـي نفسـية الثـور في توجسه وقلقه وخوفه.

وقـد تَـوَّجسَ رِكْـزاً مُقْفِـرٌ نَـدِسُ بِنَبْـأَةِ الصَّـوتِ مـافي سَـمعِهِ كَـذِبُ
فبـاتَ يُشْـئِزهُ ثَـأْدٌ ويُسـهِرُهُ تَـذاؤبُ الـرّيحِ والوَسـواسُ والهَضَـبُ
حتـى اذا مـا جَـلا عـن وَجْهِـهِ فَلَـقُ هاديـهِ فـي أُخْرَيَـاتِ اللَّيْـل مُنْتَصِـبُ
أَغبـاش لَيـلٍ تمـامٍ كـانَ طارَقـهُ تَطَخطُـخُ الغَـيْمِ حتـى مالَـهُ جُـوَبُ
غـدا كـأَن بـه جِنّـاً تذاءَبُـهُ مـن كُـلِّ أَقْطـارِهِ يخْشـى ويَرْتَقِـب[١٥]

وتـؤدي الطبيعـة دوراً فـاعلاً فـي رسـم الصـورة الفنيـة فتثيـر القلـق والخـوف والفـزع فالأمطـار والريـاح تثيـر الوسوسـة فـي ذاتـه نتيجـة للحركـة التـي تثيرهـا عبـر مشـاهد بصرية وحركية وصوتية تتداخل فيما بينها للكشف عن مدارات المشهد.

ويصـف الشـاعر الحالـة النفسـية للثـور فـي وصـفه كأنـه قـد مسـه الجنـون، وهـذا يرجـع إلـى حالـة الوحـدة والخـوف الـذي يعيشـها، فالشـاعر قـد أضـفى المشـاعر الإنسـانية علـى الحيوان مستثمراً الصور التشبيهية.

وبعـد معانـاة طويلـة يبـزغ نـور الصـباح وضـياء الأمـل غيـر أَنـه أمـل مؤقـت فتبـدو صورة الكلاب والصياد واضحة وجلية:

حتّـى اذا مالَهـا فـي الجَـذْر واتَّخـذَتْ شَـمْسُ النَّهـار شُـعاعاً بَينَـهُ طِبَـبُ
ولاحَ أَزْهَـرُ مِشـهورٌ بِثُقْبَتِـهِ كأَنَّـه حـين يعْلـو عـامِراً لَهَـبُ
هَاجـتْ لـه جُـوَّعٌ زُرْقٌ مُخَصّـرَةٌ شَـواربٌ لاحَهـا التَّغريـثُ والجَنـبُ
....
ومُطْعَـمُ الصَّـيدِ هَبّـالٌ لبغيتِـهِ أَلقـى أَبـاهُ بـذاكَ الكَسْـبِ يَكْتسِـبُ
....

خَزايَـةً أَدركَتْـهُ عنـدَ جَوْلتِـهِ مـن جانـب الحبلِ مَخْلوطاً بهـا غَضَـبُ
فَكَـفَّ مِـن غَرْبِـهِ والغُضـفُ يَسْـمَعُها حَلْـفَ السَّـبيبِ مـن الأجهـادِ تَنْتَّحِـبُ

حتـــى إذا أَمكَنَتْـــهُ وَهْـــوَ مُنْحَـــرِفٌ أو كـــادَ يُمْكِنُهُـــا العُرْقـــوبُ والـــذَّنَبُ
بَلَّـــتْ بـــه غيـــرَ طَيّـــاشٍ ولا رَعِـــشٍ إذ جُلْـتَ فـي مَعْـرَكٍ يُخْشـى بـه العَطَـبُ
فَكَـرَّ يمشُـقُ طَعنـاً فـي جَواشِـنها كأَنَّـــهُ الأجْـــرَ فـــي الأُقْبـــالِ يَحْتَسِـــبُ
فتـارةً يَخِـضُ الأَعنـاقَ عـن عُـرُضٍ وَخْضـاً وتنثْـتَظِمُ الأَسْـحارُ والحجـبُ
وَلّـــي يَهُـــدُّ انهزامـــاً وَسْـــطَها زَعِـــلاً جَـذْلانَ قـد أَفْرَخَـتْ عـن رَوْعِـه الكُـرَبُ
كأَنَّـــه كَوكـــبٌ فـــي إثْـــرِ عِفْرِيَـــةٍ مُسَـوَّمُ فـي سَـوادِ اللَّيـلِ منْقَضِـبُ(١٦)

وبعد هذه الليلة العصية لابُدَّ من انفراج مع طلوع الشمس غير أن هذا الانفراج مؤقت، فمع نهاية الصراع الداخلي للثور واحساسه بالغربة والوحدة والقلق ما جعله يتهيأ سماع أصوات تشيع في نفسه حالة من الهلع، وهذا التهيؤ سرعان ما أصبح حقيقة، وكأن الشاعر قد قصد ذلك فوقع في صراع خارجي وأزمة جديدة مع كلاب الصيد، مبينًا كيف أن الثور على أتمّ الاستعداد لمواجهة الكلاب، وهذا مما يثير التساؤل عن هذا الاستعداد، فالثور قضى ليلة مزعجة وقلقة، وفي الحقيقة أن هذا الأمر ما هو إلا تجسيد لصورة الفارس العربي في مواجهة الآخر فهو لا يعرف الهرب، فقد أضفى من صفات العربي على ثوره، لينتهي الحدث بانتصار الثور على الكلاب وهربه مسرعاً نحو حياة جديدة تخلو من المصاعب.

إنّ المشاهد في هذا النصّ قد رُصفت في أتجاه خدمة موضوعية؛ للكشف عن مدارات النهوض بالحدث وفق صور حركية وبصرية قابلة للتأويل.

يتفق الشاعران في تجسيد الحدث عبر شخصيتي الحمار والثور غير إن لبيد قد قدم الثور على الحمار في مشهده، في حين أخّر ذو الرمة الثور، وتظهر أهمية الحدث لدى الشاعرين بوساطة الصراع القائم بين الطبيعة والحيوان والإنسان على السواء، إذ نجحا في تصوير صراع الموت والحياة في بناء درامي، إذ استثمرا الأمطار والرياح في تصوير صراعات ومعاناة الحيوان التي تشبه مكابدات الإنسان عبر تجسّيد المشاهد البصرية والسمعية والحركية لاسيّما أن الحدث يحفل بالمشاهد الحركية، كما جسّد الحدث قوة وصلابة الحمار والثور ودفاع الحمار عن أتنه ليجسد بذلك أخلاق العربي وغيرته على المرأة، فضلاً عن انتهاء الحدث نهاية سعيدة ليشير إلى التفاؤل والأمل الذي يمتلك الشاعران.

مشهد صراع البقرة المسبوعة عند لبيد:

وفي نصّ آخر يشبه لبيد ناقته بالبقرة المسبوعة، قائلاً:

أُفَتِلـــــكَ أَمْ وَحْشـــــيْةٌ مَسْـــــبُوعَةٌ خَـــذَلَتْ وهادِيَـــةُ الصِّـــوارِ قوَامُهـــا
خنســـاءُ ضَـــيَّعَتِ الفَريـــرَ فلـــم يَـــرِمْ عُـــرْضَ الشْـــقَائِقِ طَوْفُهَـــا وَبُغَامُهـــا
لِمُعَفَّـــــر قَّهْـــــدِ تَنـــــآزَعَ شِـــــلْوَهُ غُـــبْسٌ كواسِـــبُ لاَيمَـــنُّ طَعَامهـــا
صـــــادَفْنَ منهـــــا غـــــرَّةً فَأَضَـــــبْنَهَا إِنَّ المنايـــــا لا تطـــــيشُ سِـــــهَامُها
باتَـــتْ وأَسْـــبَلَ واكـــفٌ مـــن ديمـــةٍ يُـــرْوى الخمائـــلَ دائمـــاً تَسْـــجَامُها
يَعْلُـــو طريقـــةَ مَتْنِهَـــا مُتَـــوَاتِرٌ فـــي ليلـــةٍ كَفَـــرَ النجـــومَ غَمَامُهَـــا
....
حتـــى إِذا يَئِسَـــتْ وأَسْـــحَقَ حَـــالِقٌ لـــم يُبْلِـــهِ إِرْضَـــاعُهَا وَفِطَامهـــا(١٧)

تنمو بنية الحدث على امتداد القصيدة مجسّدة الوصف بصورة دقيقة عبر مجموعة من الصور هي نتاج كلي للعلاقة بين الحدث والصراع الحاد، فنجح لبيد في أن يشركنا بذلك الإحساس والانفعال عبر سرد مجموعة من الأحداث المؤلمة التي وصف بها البقرة بالأُم المفجوعة بفقدان صغيرها، وهذا الوصف أسهم في إضفاء الجو الحزين على الحدث كلّه فكان سبباً في وصف حالة الألم والتمزق التي تعانيها البقرة الوحشية، إذ حاول التعبير عنها بصورة فريدة عبر إشراك المتلقي في الإحساس بالألم والحزن لاسيّما حين عمق من ذلك الشعور مستثمراً الصوت والحركة في اظهار حزن البقرة بحثاً عن صغيرها صارخةً هائمةً باحثةً بين النباتات عنه، فيجسد صورة الأُم الحنون التي انفطر قلبها لفراق صغيرها، فالحدث يدور حولها ولاسيّما مع تقديمه الفاعل (خنساءُ) على الفعل (ضيعت) ليشير إلى فشلها في إيجاد صغيرها وإلى التركيز أن الحدث يدور حول البقرة فضلاً عن أنه مهد لنهاية الحدث في عدم إيجادها لصغيرها، وهذه الصورة السلبية المتمثلة في اليأس من نجاة صغيرها ففقدت الأمل في البحث عنه، ما يجسد الجانب المأساوي الذي تولد عن فقدانها لصغيرها، إذ تداخل العنف مع الحنين، فصور الصراع والتمزق داخل الذات، وليجسَد هذا الخوف بصورة أكبر جعل الجو ماطراً مستثمراً إياه في وصف الهموم التي تحملها البقرة.

ويتطور الحدث شيئا فشيئا حتى يصل إلى ذروته.

وَتَوَجَّسْـــت رزَّ الأَنـــيس فَرَاعَهـــا عـن ظهـرِ غَيْـبٍ والأَنـيسُ سَـقَامُها

فَغَـدَتْ كـلا الفَـرْجَينِ تَحْسَـبُ أَنَّـه مَـــوْلىَ المخافـــة خلفُهـــا وأَمامُهـــا

حتـــى إذا يـــئسَ الرمـــاةَ وَأَرْسَـــلُوا غُضْـــفاً دواجـــنَ قـــافِلاً أَعْصَـــامُها

فَلَحقْـــنَ واعتكـــرتْ لهـــا مَدَرِيَّـــةٌ كالســـــمهرية حَـــــدُّهَا وَتَمَامُهَـــــا

لِتَـــذُوْدَهُنَّ وَاَيقنـــت إنْ لـــم تـــذُدْ أَن قـد أُحِـمَّ مـن الحُتُـوف حِمَامُهـا

فَتَقَصَّـدَتْ منهـا كَسـابِ فَضُـرِّجَتْ بـدم وغـودرَ فـي المَكَـرِّ سُـخَامُها[١٨]

تتعمـق الأحـداث فتأخـذ خطـاً دراميـاً موازيـاً حينمـا يـنهض الصـراع بـين البقـرة والكـلاب، إذ إن هـذا المقطـع ((مبنـي بشـكل درامـي داخلـي فصـراعاته فـي داخلـه أكثـر منهـا فـي الخـارج))[١٩]، فـالنصّ يـوحي بتـأزم حـادّ جـداً يظهـر فيـه الصـياد والكـلاب حـين حـاول كـلّ منهمـا اصـطيادها، فتهـرب مـن الصـياد، وتواجـه الكـلاب بطعـنهم، وهـذه الصـورة إيجابيـة تعيـد التفـاؤل لاسـيّما بعـد نجاتهـا ممـا يشـير إلـى رمزيـة القصـة أن الحيـاة لا تتوقـف ولا بُـدَّ مـن الكفـاح فحياتنـا مـا هـي إلا رحلـة فيهـا الكثيـر مـن الصـعاب، فضـلاً عـن أن مواجهتهـا للكـلاب يشـير إلـى شخصـية العربـي الـذي لا يعرف الهرب من المصاعب وإنما يقف في مواجهتها.

ويفيـدُ الشـاعر مـن المقومـات البَصَـرية فـي الإطـار الـدرامي ((فهـذه المـؤثرات تعطـي قيمـة تآلفيـة مـع الصـورة الأدائيـة الدراميـة للمشـهد فتسـاعد علـى إبـراز محتواهـا الـدرامي وتزيـد عناصـر جـذبها))[٢٠]، فجـاء توزيـع هـذه الصـورة البَصَـرية مبنيًـا علـى مجموعـة مـن المفـردات (ليلـة، النجـوم)، فضـلاً عـن أن الحـدث يحـوي مجموعـة مـن الصـور المتـواترة التـي تتـآزر جميعهـا حـول تعميـق الإحسـاس بـالخوف والضـياع، فأضـافت صـورة إيحائيـة أسـهمت فـي بيـان امكانيـات الشـاعر التعبيريـة عبـر اسـتيعاب الظواهر النفسية.

مشهد صراع الحمار عند ذي الرمة:

وفـي نـصّ آخـر يـدخل ذو الرمـة بنيـة الحـدث التـي تقـوم علـى تعميـق كثافـة الـنصّ عبـر تفاصـيل الرمـوز الحيوانيـة التـي تحيـل القـارئ علـى مسـاحة مناسـبة وتفاصـيل

مهمة تتيح له قراءة الحدث على وفق الدلالة التي تعطيها ولاسيّما إذا علمنا أن هذه الرموز مجرّد استطرادات لصورة الناقة[٢١]، اذ يقول في حديثه عن الحمار:

رَعَتْ واجِفاً فالجزْعَ حتى تَكَمَّلَتْ جُمادى وحتى طارَ عنها نَسيلُها
وحتى استَبانَ الجَأبُ بعد امتنائِها من الصيف ما اللاّئي لَقحْنَ وحولُها
أبَتْ بعد هَيْجِ الأرضِ إلاّ تَعلُّقاً بعَهدِ الثَّرى حتى طواها ذُبولُها
حَشَتْها الزُّبانى حَرَّةً في صُدورِها وسَيَّرَها من صُلْبِ رَهْبى ثَميلُها
فَلمّا حَدا الليلُ النَّهارَ وأَسَدَفَتْ هوادِي دُجاً ما كادَ يَدْنو أصيلُها
حَداها جميع الأمرِ مُجْلَوَّدُ السُّرى حُداءَ إذا ما استمعَتهُ يَهولُها
مِصَكٌّ كمِقْلاءِ الفَتى ذادُ نفسَهُ عن الوِرْدِ حتى ائْتَجَّ فيها غَليلُها
....
فظلَّتْ تَفالى حَوْلَ جأْبٍ كأَنَّه ربيئَةُ أَثْآرِ عِظامِ ذُحولُها
مَحانيقَ أَمثالَ القَنا قد تقطّعَتْ قُوى الشكِّ عنها لو يُخَلّى سبيلُها
تُراقِبُ بينَ الصُّلب والهَضْبِ والمِعنى مِعى واحفٍ شمساً بطيئاً نُزولُها
....
فأوردها مَسجورةً ذات عَرْمَضٍ تَغولُ سُيولَ المُكْفَهرّاتِ غُولُها
فأَزعجَها رامٍ بسَهمٍ فأَدبرَتْ لها رَوْعَةٌ يَنْفي السَّلامَ حَفيلُها.[٢٢]

يدخل الشاعر مسرح الأحداث بوساطة الناقة التي شبهها بالأتن الحامل فوقها أثقالاً، وهذا التشبيه متآتٍ من الإحساس بالثقل الذي سيواجهها في أثناء الرحلة من صعوبة وخوف.

ويحدد الشاعر الزمان مبيناً أثره في الحدث، إذ رعى الحمار شتاءً وارتحل صيفاً بفعل عوامل الطبيعة باحثاً عن الماء والكلأ ومن هذه اللحظة بدأت رحلته بعد أن أصابه العطش الشديد.

وفي صورة استعارية جميلة يصور الشاعر كيف الليل يسوق النهار، وتلك هي لحظة سوق الحمير للأتن مصوراً فيها رأيه الحكيم في الارتحال بحثاً عن مكان جديد قائداً للأتن، مجسداً خوفه وحرصه على حياتها لحظة ورد الماء فلا يرد حتى

تغيب الشمس كي تخفّ حرارة الماء، وفي الحقيقة إنما تأخيره لورد الماء حتى تغيب الشمس؛ لخوفه من الصياد فربط حرارة الماء بالخوف.

وفي صورة لونية يصف الشاعر بركة الماء باللون الأخضر في إشارة إلى قدم الماء فضلاً عن ما تحويه من مخاطر وبخاصة عند تسارع الأحداث، إذ لا تنعم هذه الأتن بالماء بعد هذه الرحلة الطويلة فهناك من يتربص بها متمثلاً بالصياد إلا إن سهمه يخطئها؛ لتهرب فزعاً وخوفاً، وفي هذه النهاية المتمثلة بنجاة الحمار والأتن من الصياد هو الوجه المشرق للحدث الذي يحيل على الرغبة في الاستمرار بالحياة؛ ليكشف عن الصراع القائم بين الحيوان والطبيعة والإنسان الذي هو في حقيقته رمز لصراع الإنسان مع الحياة، كما أن قيادة الحمار للأتن هو رمز لقيادة الرجل للمرأة وحكمته وذكائه في التصرف، ورحلته بحثاً عن الماء والكلأ إنما هو تحدي للطبيعة ومصارعة الموت في ظل طبيعة تشوبها المخاطر، فكلّ شيء في الحدث يدور حول الحركة، فالتكرار الدائري للحركة يشير إلى تعاقبها وهو مظهر من مظاهر الحركة في دورتها التي يعقب فيها الليل النهار ويقابله وفي دورتها التي تغيب الشمس؛ لتعود مشرقة فيتضاد غروبها مع شروقها، كما أن حركة الصور داخل السياق حركة متحررة لا تخضع؛ لانفعال موحد، وإنما هي خاضعة لهذا التداعي الآلي(٢٣).

الخاتمة

فبعد أن تمَّ انجاز هذا البحث الذي هدف إلى الكشف عن أوجه التشابه و الاختلاف بين شاعرين كبيرين هما لبيد و ذو الرُّمَّة، فقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج التي يمكن حصرها بإيجاز كما يأتي :

ـــ يتضح مما سبق الترابط بين أجزاء الحدث في قصائد الشاعرين ، ويختلف الشاعران في هذا المشهد بتشبيه لبيد ناقته بالبقرة المسبوعة بينما شبه ذو الرمة ناقته بالأتن الحامل، ويمتلئ الحدث في هذين المشهدين بجو الحزن والخوف حتى ينتهي بإشراقة أمل.

ـــ إنّ ما يخلقه الحدث من صراع في شعر الشاعرين هو صراع الحياة و الموت و صراع الحيوان، و هو ما يعكس جدلية الذات و الصحراء بوصفها عنصراً

واضحاً من عناصر الوحدة العضوية لا يمكن فكّ عناصرها، فالصحراء هي مركز الحدث وهي مسؤولة عن مخاوف الذات؛ لذا ارتسم الحدث في صحراء ممتلئة بالخوف و القلق ممزوجاً بالاضطراب والاغتراب و الوحشة، و يمثل الحيوان في الحدث معادلاً موضوعياً للشاعر، إذ أسقط ما يحسّ به على الحيوان اذ اتفق الشاعران في تشبيه الناقة بالحمار الوحشي والثور الوحشي ، فجمع الشاعران بين الرسم الفني لصورتي الحياة و الموت على نحو يفسر خاصية مطلقة متلازمة في الأشياء وهذا ما يبرر تصورهما.

ـــ عرض الشاعران الشخصيات الحيوانية عرضاً إنسانياً؛ وذلك بوصف العواطف التي يحسّ بها الحيوان من خوف وقلق وتوجس والإحساس بالوحدة ،وهو ما لمسناه في خطاب الحيوان مخاطبة العقلاء ودعوته إلى التفاعل مع مشاعرهما.

ـــ إنّ وصف الحيوانات مثل البقرة والحمار والثور لدى الشاعرين على الرغم من تكرارها إلا إنها سلسلة لا تنفرط في الحدث، فكلّ لوحة لها طعمها الخاصّ ورونقها وجمالها، كما أن رمز الحيوان بات تراجيديا كبيرة فضلا عن وصفه معادلاً موضوعياً لذات الشاعرين ،إذ مثل المتنفس الوحيد لإحساسهما لاسيّما بعد الشعور بألم الفراق والوحدة.

هذا حصيلة ما توصلت إليه الباحثة وهي تستقرئ شعري لبيد وذي الرمة، ولا يمكنني أن أقول أنّني وصلتُ ببحثي مبلغاً أو منزلةً من الكمال لا تقبل النقد، فقد جُبل المخلوق على الخطأ أو النقص أو النسيان، ويبقى الكمال لله تعالى وحده .

Abstract

The Efectiveness of the event in Lapid's and Thi-Alrima's poem

(A research drawn from Ph.D. dissertation)

Key words: Effectiveness , The event , Lapid and Thi Alrima

Nuha Khalil Ibrahim

Prof. Nawafil Younis Al-Hamdane (Ph.D.)

University of Diyala

College of Education for Humanities

Department of Arabic

This research seeks to reveal the effectiveness of the event at the two giant poets of the Arabs, who possess the capacity of the horizon and the imagination and the two poets are Lapid Bin Rabeeah who was a veteran and the other one was Thu Alrima who was an Umayyad poet

This event creates a struggle in the poetry of the two poets, which is the struggle of life, death and animal strife, which reflects the dialectic of Self and the desert as a membership unit whose elements cannot be deciphering
The desert is the center of the event and is responsible for the fears of the self, so the event pictured in a desert represented by fear and anxiety blended with disorder, alienation and bad, and in the light of that our reading was by the esoteric view of the secrets of the text and the search for its mysteries and the dimensions

الإحالات

(١) ينظر: المصطلح السردي، جيرالد برنس، ت: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١،، ٢٠٠٣: ١٩.

(٢) ينظر: الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٥٨: ١٥٦.

(٣) شرح ديوان لبيد: ٧٦، ٧٧، ٧٨،٨٠، الأخنس: الثور، واحف: مكان، الصوار: قطيع بقر الوحش، نطوف: سحابة تمطر، غرقد: شجر، الضال: سدر البر، وكف: قطر، القرا: الظهر، الروق: قرنه، الهالكي: الصيقل، الغضف: الكلاب.

(٤) رؤى العالم عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر، د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب،ط١ ،٢٠٠٨: ٤٥.

(٥) بُنية الرحلة في القصيدة الجاهلية (الأسطورة والرمز)، د. عمر عبد العزيز السيف، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت – لبنان: ط١، ٢٠٠٩: ١٤٢.

(٦) ينظر: رؤى العالم: ٩٧.

(٧) شرح ديوان لبيد: ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧،٨٨، أذلك أم عراقي: الحمار يريد أنه يأتي من العراق، أرن: صاح، نحائص: أتن، الجماد: أرض، قو: بلد، آجنات: متغيرات، النجاد: كل مرتفع الأرض، النضى: السهم، المغالى: المرمى البذ: القطع، مشعشع: ممزوج، مغروض: طري .

(٨) أثافي الطَّلل (دراسات في الشعر العربي القديم)، د. رعد أحمد الزبيدي، دار بغداد، العراق– بغداد، ط١، ٢٠١٤: ١٦٥.

(٩) ديوان ذي الرمة: ١/ ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، معقلة: موضع بالدهناء، عانات: جماعة من الحمير، الجنب: الذي لصقته جنبه من العطش، محملجة: شديدة القتل، ورق السرابيل: شعرها يضرب إلى سواد، معمعان: شدة الحر، الهيف: الريح الحارة.

(١٠) نفسه: ١/ ٥٦، ٥٧، ٦١،٦٢،٦٣، منصلتاً: منجرداً مسرعاً، أثال: موضع.

(١١) ينظر: تحديات الناقد المعاصر، د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة، بيروت، ط١، ٢٠١٤: ١٥٠.

[١٢] ديوان ذي الرمة: ١/ ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، مقتنص: صائد، منزرب: حفيرة، ودقت: دنت، الحقب: الحمر، اجدل: صقر.

[١٣] ديوان ذي الرمة: ١/٧٤، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٦، ٨٧، ٨٩، النمش: نقط سود بقوائمه، مسفع الخد: أسود، شبب: مُسن، تقيظ الرمل: الثور، الرتب: الغلظ، رائح: الغيث، الشملة: الهيئة، معدن الصيران: الموضع الذي تقيم فيه البقر، حائل: ورق قد تغير غلى البياض، الأستهلال: صوت وقع المطر، الغبية: المطر الشديد، دون الأرومة: عروق الأشجار.

[١٤] ينظر: لغة الشعر العربي، أ.د .عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والطباعة، مصر، ط٢، ٢٠٠٦: ٣١١.

[١٥] ديوان ذي الرمة: ١/ ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٥، يشئزه: يقلقه، الجوب: القطع من السماء تظهر.

[١٦] ديـــوان ذي الرمـــــة: ١/ ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١١،١١٠، أزهر:الثور في بياضه، الغرثان: الجائع، العطب: الهلاك، الجواشن: الصدور، الهد: المر السريع، منقضب: منقض .

[١٧] شرح ديوان لبيد : ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، خذلت: تأخرت عن القطيع، خنساء: تأخر الأنف وقصره، الشقائق: الأرض الغليظة، بغامها: صوتها، المعفر: ابنها الذي قد سُحب في التراب، قهد: أبيض، الغبس: الذئاب أو الكلاب، الواكف: القطر، كفر: ستر، حالق: الضرع الذي كاد يمتلئ.

[١٨] شرح ديوان لبيد: ٣١١، ٣١٢،الرز:الصوت الخفي، الفرج: الواسع من الأرض، المدرية: القرون، السمهرية: الرماح، كساب وسخام: اسم كلب.

[١٩] وعي الحداثة (دراسات جمالية في الحداثة الشعرية)، د. سعد الدين كليب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط، ١٩٩٧: ١٨٣.

[٢٠] التقنيات الدرامية والسينمائية في البناء الشعري المعاصر (دراسة نقدية)، د. محمد عجور، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات، ط١، ٢٠١٠، ١٥٣.

[٢١] ينظر: بُنية الرحلة في القصيدة الجاهلية (الأسطورة والرمز): ١١٣.

[٢٢] ديـوان ذي الرمـــة:٢/٩٢٨,٩٢٩,٩٣٠,٩٣١,٩٣٢,٩٣٤,٩٣٥,٩٣٦،واحفاً:موضـــع الزبـــاني: قرنـــا العقرب: أسدفت: أسودت، مجلوذ السرى: منبسط ماضٍ، مصك: فحل، مقلاء الفتى: شديد، جأب: الحمار الغليظ، محانيق: ضمر، المكفهرات: السحائب.

[٢٣] ينظر: استعادة الماضي (دراسات في شعر النهضة)، د. جابر عصفور، دار المدى، سوريا، ط١، ٢٠٠١: ٨٤، ٣٤٣.

المصادر والمراجع :

- أثافي الطَّلل (دراسات في الشعر العربي القديم)، د. رعد أحمد الزبيدي، دار بغداد، العراق– بغداد، ط١، ٢٠١٤م .
- الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٥٨م .
- استعادة الماضي (دراسات في شعر النهضة)، د. جابر عصفور، دار المدى، سوريا،ط١،٢٠٠١م.
- بُنية الرحلة في القصيدة الجاهلية (الأسطورة والرمز)، د. عمر عبد العزيز السيف، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت – لبنان: ط١، ٢٠٠٩م .
- تحديات الناقد المعاصر، د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.
- التقنيات الدرامية والسينمائية في البناء الشعري المعاصر (دراسة نقدية)، د. محمد عجور، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات، ط١، ٢٠١٠م.
- ديوان ذي الرمة ، غيلان بن عقبة العدوي (ت١١٧هـ)، شرح الإمام: أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الاصمعي، رواية الإمام أبو العباس ثعلب ، مؤسسة الإيمان، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٧٢م. ـــ رؤى العالم عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر، د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ ـــ المغرب،ط١ ،٢٠٠٨م.
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ت٤١هـ)، حققه وقدم له: د. إحسان عباس، التراث العربي، الكويت، د. ط، ١٩٦٢م
- لغة الشعر العربي، أ.د. عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والطباعة، مصر، ط٢، ٢٠٠٦م.
- المصطلح السردي، جيرالد برنس، ت: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١،، ٢٠٠٣م.
- وعي الحداثة (دراسات جمالية في الحداثة الشعرية)، د. سعد الدين كليب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط،**١٩٩٧ م**